

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ
عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ
هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ

الْعَيْشُ وَفَقَّ مَسْئُولِيَّةَ الْحَيَاةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ " ¹.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ الْكَرِيمِ:
"الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ
أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي" ².

أَعْرَاضِي الْمُؤْمِنِينَ!

خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِإِخْتِبَارٍ مَنْ سَيَلْتَزِمُ
بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَسَتَكُونُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الَّتِي سَنَقُومُ
بِهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ هِيَ سَبِيلُ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي الْجَنَّةِ
وَالْحِيَادُ عَنِ هَذِهِ الْخَيْطِ سَيَكُونُ مَصِيرُهُ الْعَذَابُ فِي جَهَنَّمَ.
فَكُلُّنَا نَرَى فِي حَيَاتِنَا كَيْفَ يَمُرُّ الْوَقْتُ كَالسَّيْفِ وَكَيْفَ يَقِلُّ

رَأْسِ مَالِ حَيَاتِنَا مَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ. فَكُلُّ دَقِيقَةٍ تَمُرُّ مِنْ حَيَاتِنَا
تُبْعِدُنَا عَنْ شَبَابِنَا وَتَدْفَعُنَا نَحْوَ التُّضْوِجِ وَنَحْوِ الشَّيْخُوخَةِ
أَيْضًا خَطْوَةً فَخَطْوَةً. وَنَزْدَادُ افْتِرَابًا نَحْوِ النَّهَائِيَةِ الْحَتَمِيَّةِ الَّتِي
لَا نَعْرِفُ مَتَى وَكَيْفَ وَإَيْنَ سَنُدْرِكُهَا وَهِيَ الْمَوْتُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: "أَيُخْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ
يُتْرَكَ سُدًى" ⁴. فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ بِمِثَابَةِ إِقْبَاطِ مِنْ اللَّهِ
تَعَالَى وَحِسَابٍ لَنَا عَنِ الْعُمْرِ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْعَمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا
مِنْ جَمِيعِ النِّعَمِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ الْمَسْئُولِيَّةَ. فَنَحْنُ عَاجِزِينَ عَنْ
الشُّكْرِ عَنْ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا بِمَا فِي ذَلِكَ
الْعُمْرِ. لِذَلِكَ نَحْنُ مَسْئُولُونَ عَنْ كَيْفِيَّةِ قَضَاءِ عُمْرِنَا وَأَيْنَ
قَضَيْنَاهُ. وَكَمَا بَلَّغَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْخَدِعُ
الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّحَّةِ وَأَوْقَاتِ الْفَرَاغِ وَلَا
يُدْرِكُونَ فِيْمَا هَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ الَّتَيْنِ لَا مَثِيلَ لَهَا ⁵. لَكِنَّ
الْوَقْتَ الَّذِي يُمِضِيهِ الْإِنْسَانُ مُدْرِكًا لِمَسْئُولِيَّاتِهِ تَجَاهَ اللَّهِ
تَعَالَى سَيَتَحَوَّلُ لِلرِّيحِ فَيُنْقِذُ صَاحِبَهُ مِنَ الْخُسْرَانِ. فَمَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالتَّزَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ سَيَكُونُ وَقْتُهُ مُبَارَكًا. وَسَيَكُونُ عُمْرُهُ
مَعْمُورًا بِالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ.

أَعْرَاضِي الْمُؤْمِنِينَ!

نُودِعُ عَامًا مِنْ حَيَاتِنَا الَّتِي أُرْسَلْنَا إِلَيْهَا اللَّهُ تَعَالَى لِإِنْبَاءِ
حَيَاةٍ مُنَاسِبَةٍ لِرِضَاهُ تَعَالَى مَشْمُولَةً بِالطَّمَأِينَةِ وَالرَّاحَةِ

وَالْعَدْلِ. وَسَتَكُونُ هَذِهِ الْفُرْصَةُ وَالَّتِي تَتَغَيَّرُ فِيهَا أَوْرَاقُ
التَّقْوِيمِ فُرْصَةً مُنَاسِبَةً بِالنِّسْبَةِ لَنَا لِمُرَاجَعَةِ الْمَاضِي
وَمُحَاسَبَتِهِ. وَهِيَ فُرْصَةٌ لَا مَثِيلَ لَهَا لِمُرَاجَعَةِ حَيَاتِنَا وَالتَّوْبَةِ
عَنْ أَخْطَائِنَا وَاتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الْجَدِيدَةِ وَالصَّحِيحَةِ وَفَتْحِ
صَفْحَاتِ جَدِيدَةٍ فِي حَيَاتِنَا. مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ اسْتِقْبَالَ الْعَامِ
الْجَدِيدِ مِنْ خِلَالِ نِسْيَانِ فِيمَنَا الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ
وَبِتَصَرُّفَاتٍ لَا تَتَوَافَقُ مَعَ حِسَاسِيَّتِنَا الْوَطَنِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ شَيْءٌ
يَتَنَاوَى مَعَ ذَلِكَ.

أَعْرَازِي الْمُؤْمِنِينَ!

مَعَ بَدْءِ الْعَامِ الْمِيلَادِيِّ الْجَدِيدِ دَعُونَا نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا:
هَلْ اسْتَطَعْنَا تَثْبِيَتَ عَزْمِ كَسْبِ الْإِيمَانِ وَرِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
مَرْكَزَ حَيَاتِنَا؟ أَمْ قُمْنَا بِاتِّبَاعِ هَوَانَا وَنَفْسِنَا؟ وَهَلْ قُمْنَا
بِاسْتِخْدَامِ قُوَّتِنَا وَطَاقَتِنَا وَعِلْمِنَا وَعَقْلِنَا وَخِبْرَتِنَا فِي سَبِيلِ
رَفْعِ الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ؟ أَمْ قُمْنَا
بِمَنْحِ رَغْبَاتِنَا وَتَوَقُّعَاتِنَا الشَّخْصِيَّةِ الْأَوْلَوِيَّةِ؟ وَهَلْ قُمْنَا بِمَنْحِ
الرَّحْمَةِ وَالْعَدَالَةِ وَالتَّوَاضُّعِ الْمَكَانَةِ فِي قَلْبِنَا؟ أَمْ غَلَبْنَا مَرَضُ
بِالْكِبْرِيَاءِ وَالرِّيَاءِ وَالْبُخْلِ وَالْحَسَدِ؟ هَلْ قُمْنَا بِالِاتِّزَامِ بِالْأَمْرِ
الْإِلَهِيِّ الَّذِي بَلَّغَنَا إِلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ "يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁶.

هَلْ اسْتَطَعْنَا سَخَبَ يَدَيْنَا مِنَ الشَّرِّ؟ هَلْ لَجَمْنَا لِسَانَنَا
أَمَامَ الْكَلِمَاتِ السَّيِّئَةِ؟ هَلْ نَظَفْنَا أَذْهَانَنَا مِنَ الْأَفْكَارِ السَّيِّئَةِ؟
هَلْ مَلَأْنَا قَلْبَنَا بِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى؟ هَلْ اسْتَطَعْنَا حِمَايَةَ حُقُوقِ
أُمَّهَاتِنَا وَأَبَائِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَأَطْفَالِنَا؟ مَتَى قُمْنَا بِالْعَطْفِ عَلَى
يَتِيمِ آخِرِ مَرَّةٍ؟ مَنْ هُوَ الْجَارُ الَّذِي سَأَلْنَا عَنْهُ؟ مَنْ هُوَ الْعَجُوزُ
الَّذِي إِطْمَأَنَّنا عَنْ حَالِهِ؟ مَتَى آخِرُ مَرَّةٍ أَنْفَقْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
تَعَالَى لِتَلْبِيَةِ حَاجَةِ السَّائِلِ؟

أَعْرَازِي الْمُؤْمِنِينَ!

دَعُونَا نَتَّخِذَ قَرَارَ مَلءٍ مَا تَبَقِيَ مِنْ حَيَاتِنَا بِالْخَيْرِ
وَالْأَعْمَالِ الَّتِي تُرْضِي رَبَّنَا. وَلَا نَنْسَى ثِقَلَ الْأَمَانَةِ الْمُلْقَاةِ
عَلَى عَاتِقِنَا وَقُرْبِ يَوْمِ الْحِسَابِ. وَلَا نُفْنِي وَفْتِنَا فِي لَأِ شَيْءٍ.
وَنَبْتَعِدَ عَنِ الْأَعْمَالِ الَّتِي لَا تُفِيدُ؛ وَنَتَرَجَّعَ عَنْ أَخْطَائِنَا.
وَنَزِيدَ مِنْ عِبَادَاتِنَا وَخَيْرِنَا وَحَسَنَاتِنَا. حِينَ ذَاكَ سَتَكُونُ
حَيَاتِنَا قَدْ قَصَّتْ عَامَهَا الْجَدِيدَ الْحَقِيقِيَّ وَالْأَمَلَ الْحَقِيقِيَّ.

¹ آل عمران، 185/3.

² الترمذی، صفات القيامة، 25.

³ الملك، 2/67.

⁴ القيامة، 36/75.

⁵ البخاری، الرقاق، 1.

⁶ المائدة، 90/5.